

## رزايا العنف وغلق قنوات الحوار

2017-10-22 عيد الرزاق عبد الحسين

الرّزية هي السوء، وتأتي أحيانا المصيبة، بحسب علماء اللغة، وجمعها رزايا، ولصقتها هنا مع العنف، يأتي من باب شدة السوء، فالعنف يستجلب الرزايا، وينثرها خفافا بين الناس، فيوسع الأحقاد فيما بينهم ويوقدها، وإذا بهم يشتعلون كالحطب المُعدّ للإشعال، وما بين الرزايا والعنف ألف وشيجة، كلها نتاج جذور التطرف وغلق قنوات الحوار.

كثيرون يبقى السؤال حائرا على ألسنتهم، لماذا العنف، وما هي العصبية، وممّ يتوالد الاستبداد، ومن الذي دفع بالدكتاتوريات لكي تحزّ رقاب العدل والحق، ثم نشر رزايا الحرمان والعوز والازدراء بقيمة البشر، محفزات كثيرة تختبئ بخبث مثل الخلايا النائمة، ثم ما تلبث من أن تصحو بغتة، فتشبّ نيران الضغائن وتشرئب بأعناقها عاليا، لتحرق كل سبل الحوار، وقد لا يعرف مشعلو الحرائق ورواد العنف، أنه يوّلّد العنف المضاد، ومن أشد رزايها وطأة شل قنوات التفاهم، وإثارة وإضرار نيران الدمار.

توجد كلمة تناسب هذا المعنى، لسماحة المرجع الديني السيد صادق الشيرازي، يجيء فيها ما يلي: (تكمّن جذور العنف في الجهل والعصبية، والفهم الخاطئ للدين، والاستبداد والديكتاتورية والحرمان الاجتماعي، والظلم من قبل الحكومات والأفراد الذي يوّلّد العنف المضاد، وغلق قنوات الحوار البناء، أو ضيق هذه القنوات). / المصدر: كتاب من عبق المرجعية).

ولأن الفكر هو الذي يقود البشرية، وينقلها من طور الى طور، ومن حقبة الى أخرى، لكل حقبة أفكارها وقيمها وسلامها وحروبها وصراعاتها، فكل المشكلات تنبثق من خلل الأفكار، وقد عالج قادة الإسلام الأوائل هذا الخرق، بنشر الفكر المنعش للآداب الاجتماعية، كتعظيم العلاقة مع الوالدين، وتنظيم الأسرة، واحترام كل ذي قرابة وصداقة ورابطة جينية أو دراسية أو عملية، باختصار تركّز الشغل على تطوير الآداب الاجتماعية لضمان مجتمع منصف، حتى تسود قيم السلام، وتطفئ نيران العنف، وتفتح قنوات الحوار بأوسع أبوابها، فلا سبيل لإنقاذ البشرية إلا بالتعارف والتألف والمحبة

والتناغم السري والمجتمعي، كبديل حتمي للعنف.

يركز سماحة المرجع الشيرازي قائلاً: (الآداب الاجتماعية، هي المرتبطة بحياة الإنسان الاجتماعية مثل آداب المعاشرة مع الوالدين، والأهل والأولاد، والأقرباء والأرحام، والجار والأصدقاء، والتلميذ والأستاذ، ومع كل الناس، بل كل الموجودات، وقد جاء الإسلام في ذلك بأفضل التعاليم والآداب مما يضمن تطبيقها كالسلم والسلام، والأمن والاستقرار، والتآلف والتعارف، والمحبة والوئام بين جميع الناس، وكل أفراد البشر./ المصدر نفسه).

تطوير الفكر النفسي يساعد بقوة على تعويد الناس على التواد، فيمكن أن تتم مساعدة الناس في الإطار النفسي، لجعلهم أكثر تقارباً من الحكمة، وأقرب الى السلم، وأشد جنوحاً إليه، للفكر دوره في التهيئة النفسية، يمكنك أن تصنع عقل متطرف، ولكن يمكنك حتما صناعة عقل إنساني يميل الى السلام، يحدث هذا إذا عرف الإنسان ماذا سيحدث له إذا فضل العنف على نقيضه، وما هي الأضرار النفسية التي تهشم كينونة الإنسان وتعبث بوجوده.

لا طريق أماناً غير مناهضة العنف ومحاصرة هذا النوع من الثقافة، فالعنف بالفعل ثقافة إذا عرفنا مصادرها، ومن أي تنبثق، وكيف نتمكن من مكافحتها، وارتقينا بأفكارنا وذواتنا فوق التوافه، سوف نتذوق النتائج الطيبة لهذا السعي المحبب للأنفس الناصعة المستقرة المليئة بالإيمان والرحمة والاحترام العادل، إن توفير الحرية للمجتمع ستفتح الآفاق واسعة لتعميم هذه الأفكار كي تصون البشرية من شر العنف المستطير.

ومن أقوال السيد صادق الشيرازي في ذلك: (يمكن مكافحة العنف في المجتمع من خلال تعميم ثقافة اللاعنف، وتوضيح أن العنف نار تحرق الكل ولا تستثني أحداً، وبيان مضر العنف النفسية والاجتماعية والدينية، وتوفير الحرية للمجتمع./ المصدر السابقة).

وكما هو معروف أن السلم له أجواءه، والعنف كذلك، ففي حين تصنع الحرية السلام، فإن الأنظمة الدكتاتورية تصنع العنف والتطرف والاحتقان، وثبت باليقين القاطع، أن لا توجد دكتاتورية في التاريخ إلا واتخذت من العنف طريقاً لها، فعلياً أن نحذر، بالخصوص الشعوب التي تحلم أن تتذوق

طعم الحرمة ءءءءاً؁ من بؤر القمع ورجالاته؁ فهناك من ىتربص بنا لكي ىنقض على السلطة بأسلوب العنف؁ فهذه وسيلة الطغاة؁ وهذا فكرهم الأحاءى المشلول الذى لا ىرى الحىاة والعالم إلا بعىن واحة رمءاء؁ فكىف ىا تُرى ىكون شكل العالم بعىن كهذه؟؟.

ومن سوء طالع بعض الدول العربىة والإسلامىة أنها كانت - وربما لا تزال- ضحىة لأنظمة من هذا النوع؁ تستمد وجودها من العنف؁ بمساعدة الفكر المتطرف والجهل والتضلىل؁ هذه هى الأسلحة التى ىلجأ إليها الحكام الفاشلون؁ المستبءون؁ الذىن تتربى على أىءىهم؁ أنواع وأشكال وأجىال من الحركات المتطرفة؁ كما هو حال العالم الذى ىنوء بثقل هكذا أفكار مءمرة.

(فى أجواء الكبت والإرهاب والاستبءاء والءكءاءورىة تنمو الاءجاهاء المتطرفة والحركات التءمىرىة./ المصدر السابق).

هذه كلمات سماحة المرجع الشىرازى التى ىءر فىها من العنف والتطرف؁ وىءعو فىها للجمىع الى إرساء العءل الاءءماعى؁ بوساطة شىوع الفكر المعتءل الجانح ءوماً الى السلم؁ لصنع فرص تكافئ من ىستحق المكافأة؁ وءفءح للجمىع حىاة العز؁ فى ظل مجءمع ىجمعه الحوار وءفءح فىه أبواب قنواء الفكر المسالم بعىءاء عمماً ىسمىهم سماحة المرجع الشىرازى (ءاملى راية العنف)؁ فهؤلاء لا ىستحقون قىاءة المجءمع.

ومن أقوال سماحته أىضاً: لابد من (إرساء ءعائم العءالة الاءءماعىة؁ وءوفىر الفرص للجمىع؁ وإعطاء حقوق الفقراء والمءرومىن؁ وبالرقابة الاءءماعىة؁ وقىام الأنظمة العامة التى ءءمى المجءمع من ءاملى راية العنف؁ وءفءح قنواء الحوار البناء بىن الأفراد والمجءمعات).